جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة : النقد العربي القديم

عنوان المحاضرة : النقد في العصر الأموي

إعداد : الدكتور وسام سعود حسين داود العزاوي

المرحلة الثالثة / قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات / جامعة تكريت

٢٠٢٣ – ٢٠٢٤

wesamalazawy@tu.edu.iq

النقـد فــي العصر الأمــوي

ويظل النقد ناشئاً يافعاً الى أواخر القرن الأول ، يظل ملحوظات يسيرة تعزز أحياناً بشيء موجز من المقاييس الأدبية ، وإن لنا أن نقول إن العهد من عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الى خلافة مروان بن الحكم لم يضف شيئاً جديداً الى الشعر ، بسبب الاضطرابات السياسية ، لا نكاد نستثني من ذلك غير معاوية بن أبي سفيان ، فقد كان النقد فيه على شيء من الحياة ، وكان له وللناس من هدوء الحال واستقرار الدولة ، ما يشفع لهم بالتحدث في الأدب والأدباء ، كان معاوية يفضل الجيد من الشعر ، ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير ، وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهما ابنه (ابن زهير)كعب ، ومعن بن أوس . غير أن الحال تغيرت كثيراً في أواخر القرن الأول ، تغيرت في اخريات أيام فحول الاسلاميين ، فارتقى النقد الأدبي إرتقاءً محموداً ، وكثر الخوض فيه ، وتعمق الناس في فهم الأدبي ، و وازنوا بين شعر و شعر ، وبين شاعر وآخر ، حتى لنستطيع أن نقول إنّ عُمْرَ النقد الصحيح يبتديء من ذلك الوقت ، وأن كل ما سبق لم يكن غير نواة له أو محاولات فيه ولذلك التقدم أسباب نذكر منها ما يتصل بالادباء الذين ينقدون الأدب سليقة وطبعا :

١- فقد شهدت سنوات القرن الأول الأخيرة ازدهار الشعر الإسلامي وأوجهِ ، ورأت شعراء شبوا الاسلام ، وعاشوا كلهم عيشة اسلامية وكان هؤلاء الشعراء من أقطار مختلفة ، ومن بيئات مختلفة ، ومن نزعات سياسية مختلفة ، ومن مذاهب أدبية مختلفة، ونذكر منهم عمر بن أبي ربيعة في مكة ، والأحوص وعبيد الله بن قيس الرقيات في المدينة ، جميل بن معمر وذا الرمة في البادية ، وجرير والفرزدق في العراق ، والأخطل في بلاد الجزيرة ، والكميت الأسدي في الكوفة ، والطرماح بن الحكيم وعدي بن الرقاع في الشام ، هؤلاء

اسلاميون جميعاً ، وهؤلاء نضجت ملكاتهم الشعرية في أواخر المائة الأولي وأوائل القرن الثاني وهؤلاء معاصروهم ، هم رجال الازدهار الثاني للشعر العربي ، وقد كثر الكلام فيهم وكثرت الموازنة بينهم ، وكانوا مادة فسيحة للنقد الأدبي .

٢- ثم إن النقد يومئذ كثرت بيئاته في البادية والحواضر الأسلامية، فمكة مجتمع الشعراء في مواسم الحج ، والمدينة مقام بعض العلماء ، ودمشق بلد الوفادة على الخلفاء ، والبصرة والكوفة نزل كثير من الشعراء وفصحاء العرب .

٣- وعامل ثالث قوي النقد ، وأكثر الكلام فيه ، هو رجوع العصبية العربية أي عهد الجاهلي وأشد ، قويت الخصومة بين الشعراء ، وفشا التهاجي بينهم ، وأمد بنو أمية ذلك اللهب بالوقود ، كانوا بنو أمية لا يطمئنون الى شعراء مُضر ، ويقدمون عليهم شاعراً من ربيعة كالأخطل ، وكان بشر بن مروان يهيج في مجالسه حزازات الشعراء ، ويغري بعضهم ببعض ، وكان جرير ينهش الفرزدق والأخطل ، وكان ينهش جريراً بضعة وأربعون شاعراً ، هذه العصبية دعت الى أن يشتغل الناس بالشعر والشعراء ويستمعوا لذا وذاك ، يمضي بهم هذا بالضرورة الى النقد والى الحكم .

هذه العوامل وغيرها كالغناء تضافرت على خلق روح جديدة في النقد وعلى تحليل صياغة الشعر ومعانيه ورجاله تحليلا فيه عمق ، وفيه نظر متنوع ، وفيه إختلاف في الذوق والحكم .

فمن الأمور التي امتدحوها في الصياغة أن تكون أعاريض الشعر موسيقية ذات نغم محسوس ، فطن ذو الرمة الى جمال تلك الخاصة في الشعر فامتدح أبياتاً له بأن لها عروضاً ولها معنىً بعيداً ، وقَدِمَ الكوفة

ودخل مسجدها ، فمر ببصره فرأى الكميت والطرماح فقصدهما ، ثم جلس ، وقال لكميت : إسمعني شيئاً يا أبا المستهل ، فأنشده قوله :

أبت هذه النفس إلا أدكارا

حتى أتى على آخرها فقال : أحسنت يا أبا المستهل في ترقيص هذه القوافي وتعلم عقدها ، والقصيدة من بحر متقارب ، ولهذا البحر نغمات راقصة مرحة .

ومما عابوه في الشعر أن تكثر أسماء الأماكن والقري فيه ، وأن ترد به ألفاظ غير شعرية ، أستنشد عمر بن أبي ربيعة ، مالك بن أسماء فأنشده شيئاً من شعره ، فقال له عمر : ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التى تذكرها فيه ، مثل قولك :

حبذا ليلتي بتل بونًي حين نسقى شرابَنا ونغني

وكان العجاج الراجز ينتقد الكميت والطرماح في أنهما يأخذان عنه الغريب ، فيضعانه في غير مواضعه ، ثم يمعن في النقد فيعلل ذلك بأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيخطئان .

ونقد الشعر في هذا العصر جاوز بنيته ومعانيه الى نقد الشعور ، ونقد الشعور أعمق وأدق من نقد الصياغة والمعاني في أغلب الأحيان ، وقد قالوا: إن جريراً يغرف من البحر ، والفرزدق ينحت من الصخر ، وإن الشعر إنما يكون في الخوف والرجاء ، عند الخير والشر ، وذو الرمة الذي ورد اسمه كثيراً ، في نقدة الأدب ، يقول : من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جننتُ به جنوناً ، وقد فطن العرب الى كثير من خصائص الشعر الجيدة ، فطنوا الى روعة النغم ، ورقة الشعور ، وجودة المعاني ، وعرفوا بطبعهم ما هو حسن من عناصر الشعر وما هو رديء ، وفرقوا بين إحساس وإحساس ،

فأما الخيال فقد فطنوا اليه ، وإن لم يسمعوه ، وهذا ذو الرمة يزهو بأنه يحسن التشبيه ، وهذا الفرزدق يسجد سجدة الشعر لبيت لبيد ، والتشبيه من المعاني ، وهو كذلك من ضروب الخيال .

فلو كان للشعراء كذلك نصيب كبير من عناية النقاد ، فقد وقفوا وقوفاً حسناً على كثير من خصائص كبار الشعراء الاسلاميين ، وفنونهم ومذاهبهم الأدبية ، وكان لذلك الوقوف أثره في توضيح أمور أخرى في الشعر غير الصياغة والمعاني ، كان له أثره في إثارة كثير من مرامي الشعر واتجاهاته وبواعثه ، عرفوا الأغراض الشعرية التي يجيد فيها الشاعر ، أو الغرض الذي انصرف اليه ، وانفرد به وبرع فيه فجميل يقول في عمر بن أبي ربيعة ، إنه يجيد مخاطبة النساء ، وإن أحداً لم يخاطبهن مثل ما خاطبهن عمر ، وهذا حكم في غاية الدقة ، من جميل وفطنة الى مذهب عمر في الشعر ، فهو لا يشكو حباً ولا يبث صبابة ، وإنما يتحدث ويغازل ، وجرير يعترف للأخطل بأنه أشعر الثلاثة في نعت الخمر ، ومدح الملوك وكان القول شائعاً بأن ذا الرمة والنصيب لا يحسنان الهجاء .

ولم يَفُتْهُمْ أن يدركوا بعض السبل التي سلكها الشعراء ، وأن بجمعوا بين شعراء المذهب الواحد ، فعمر بن أبي ربيعة شاعر مكة وشعابها وبطاحها ونزهها وواصف نسائها وجمالهن ، ومذهبه لايتجاوز الغزل الى المديح أو الهجاء الشائعين في العراق .

هذه المذاهب الأدبية التي وقفوا عليها ونقدوها ، بل تفاوتوا في النظر اليها وفي الحكم عليها ، فبينما يعجب ناقد بمذهب عمر بن أبي ربيعة ، وإذا بآخرين يعيبونه .

وتعرفُ المذاهب الأدبية كان له أثره في الموازنة بين الشعراء ، وفي تقدير منازلهم ، فهم يوازنون بين شاعرين من مذهب واحد ، أو يجمعهما فن شعري واحد ، أو عدة فنون ، يوازنون بين جرير والفرزدق ، أو بين كثير

ونصيب أو بين عمر بن ربيعة وابن قيس الرقيات ، أو بين عمر وجميل ، وكانت الموازنة بين الشعراء على عدة صور كانت في الأغراض التي طرقوها ، قلة وكثرة ، وفي تأتيهم لتلك الأغراض وفي قصيدتين اتحدتا في الموضوع والوزن والروي ، وفي نوعين متميزين من القول كالرجز والقصيدة .

فجرير يزهو بأنه قال المديح والهجاء والرثاء والنسيب والرجز ، وأنه لم يدع غرضاً إلا وطرقه ، قال في كلَّ ذلك وأجاد ، وقلما يجيد شاعر في أكثر من غرض ، وكان شائعاً أن الأخطل أجود ثلاثة مدحاً ، وأن الفرزدق أهجى من جرير ، وكان عمر بن أبي ربيعة يعارض جميلاً ، فإذا قال جميل قصيدة قال عمر مثلها ، قالوا ان عمر أشعر من جميل في الرائية والعينية ، وان جميلاً أشعر منه في اللامية ، والأخطل يقول للفرزدق في شأن جرير إنك وإياي لأشعر منه ، الذوق هو الغالب في النقد عند الذين ذكرناهم من النقاد ، وهذا الذوق صاف منسجم متمشى مع الحياة الأجتماعية فالشعر كلام ، وخيره أجوده ، والشعر تصوير الحياة ، وخيره ما أحسن التصوير ، فكان النقد أجتماعياً وكان فنياً خالصاً.

ومهما يكن من انفساح في آفاقه فإننا لا نزال بين نقدة فطريين يشعرون سليقة وطبعاً ، وينقدون سليقة وطبعاً ، لانزال في عهد من عهود الذوق العربي الخالص ، وفي صورة من صور السامية ، وما تألفه في الشعر من ضروب الجمال .